حول البحوث اللغوية

للأستاذ محمد العدناني

لمّا كان « معجمُ الاخطاءِ الشّائعة » قد ظهرتْ طبعتُه الثانيةُ ، وكانتِ الطبعةُ الأُولى من « معجمِ الأغلاطِ اللغويةِ المُعاصرة » على وشْك الصّدور ، ودفعاً لتسرّع احدِ النُّقادِ او القُرّاء بتخطئةِ كلمةٍ ما في هذين المعجَمَيْنِ ، والمعجَمَيْنِ اللّذَين سيصدُرانِ بعدهما ، اذا مدّ الله عزَّ وجلَّ حبلَ الأجل ، فانا ارجو ان أوَجِّه الأنظارَ الى ضرورةِ قراءةِ مقدّمة كلّ معجم قراءةً دقيقةً جداً ، قبل الشّروع في قراءةِ المواد اللّغويّة ، لأنّهم قد يجدون في كلّ مقدّمة جواباً شافياً عمّا تطرحُه عليهم البابهم من اسئلة ، تَوَقّعَ المؤلف ان يطرحها القراءُ على انفسهم .

هنالك من يطلبُ من الباحثِ اللّغوي ان يُلمّ بما اشتملَتْ عليه جميعُ كُتب اللّغة والادب والتاريخ ، وتضمّ عشرات الألوف من المجلدات الضخمة ، ويضعَ معجماً مفصلاً لكل الكلمات والاصطلاحات الواردة فيها ، ثمّ يُقدِمُ على البحث اللغوي . وقد فاتَ أولئك الناسَ ان يقولوا : « وعلى الباحثِ اللّغويّ ان يُعَمّرَ اكثرَ من الفَيْ سنة ، ليتمّم معاجم تلك الكتب ، وإنْ كُنّا لا نستطيع انْ نعتمدَ على جُلّها لغوياً ، ما دُمنا قد انكرنا على كثير من الجاهليّين كلماتٍ وجُملاً وابياتاً تفوّهوا بها مخالفةً لقواعدِ اللّغة العربية . وقد ذكرتُ نموذجاتٍ من ذلك في مقدّمة كتابي « معجم الاخطاء الشائعة » . ولم ينج المتنبيّ من اخطاء لغوية حاسبوه عليها حساباً عسيراً .

وهنالك مَنْ يتسرَّع في اطلاق احكامه الجائرة على المعجمات العربية ، ويرى فيها نقصاً كبيراً ، كقوله إنّ المعجم القديم اهْمَلَ ذكْرَ الفعل (شاكَسَ) ، مع انّ القرآن الكريم وَرَدَ فيه الفعل (تشاكس) ، في قوله تعالى في الآية ٢٩ من سورة الزُّمَر : (ضَرَبَ اللهُ مثلاً رجُلاً فيه شُركاءُ متشاكِسونَ ، ورجُلاً سَلَماً لرجُل ، هل يستويان مَثَلا) . ولكنّ الفعل (شاكس) ذكرَتْه المعاجمُ القديمة والحديثة كمعجم الفاظ القرآن الكريم ، والعُباب للصَّاغاني ، والقاموس للفيروزأبادي ، والتاج للزَّبيدي ، ومَدّ القاموس لأدورد لاين ، ومحيط المحيط للبستاني ، واقرب الموارد للشّرتوني ، ومتن اللغة للسيد احمد رضا ، والوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة .

وذُكرَ ان جَمْعَ ابل على آبال لم يَرِدْ إلاّ في معجم واحد ، فعثرتُ على خمسةَ عشرَ مصدراً (معجماً) آخر تجمعُها على آبال .

ويجمعونَ كلمة (أوّل) على اوائلَ وأوالي ، مع انّ هنالك ثلاثةَ جموعٍ أُخَرَ ، هي : الأوّلون ، والأُوَلُ ، والأُلَى ، انكروا وجودها .

وينكرون وجودَ المصدرِ (المُباحثة) القياسيّ في المعاجم . ولكنّ مَدّ القاموس ذكر هذا المصدر ، واهمَلَ المصدر القياسيَّ الآخرَ (البحاث) ، وحَسَناً فعَلَ ؛ لأنّ الزمن اماتَهُ ، كما اماتَ المصدَرَيْن القياسيَّيْن (الخِطار) و (البِراء) من الفعلين خاطَرَ وبارَى .

وينكرون على المعجمات إهمالها ذكرَ الخُمور والبُقُول جَمْعاً لخمرٍ وبَقْل . ولمّا كان جمعُ فَعْلٍ على فُعولٍ قياسيّاً مثل بَحْث وبُحُوث ، ولمّا كانَ الاب انستاس ماري الكرمليّ قد احصى ٤٢ اسماً يُجْمَعُ فيها (فَعْل) على (فُعول) ، وجمعتُ انا ــ حتى الآن ــ ١٥٣ اسماً منها ، فإن جمعَ (فَعْلٍ) على (فُعولٍ) يكون قياسيّاً ــ والمعاجم لا تحتاجُ الى

ذكـر الجموع القياسيّة ، ولا إلى مَنْ ينتقدها على ذلك . وقـد يصل عـدد الجموع على وزن (فُعول) الى اكثر من ٣٠٠ سأنشرها كلّهـا في هذه المجلـة إنْ شاء اللـه ، واؤيّد رايي بالأرقام في انّ الأب انستاس لا يمكننا الاعتمادُ عليـه إحصائيّاً ، لأنّني اظنّ انّـه يخترعُ الأرقـام اختراعاً ، معتقداً انّ العرب لـن يظهرَ بينهم رجلٌ يُضيع من عمره بضعة اشهر لإحصاء عـددِ جموعِ فَعْلٍ على : فُعولٍ ، وأفْعالٍ ، وأفْعُلٍ وفِعالٍ .

ويجيزون جمـعَ الجوازِ على جَوازات ، لأنّ الجاحظ استعملَ في احدى رسائله كلمـة (الجوابات) ، ويُنكرون قـولَ :

أ ــ الزمخشريّ في الأساس : « خُـذْ جَوازَكَ ، وخُذوا أجْوِزَتَكم ، وهو صَكُّ المسافر لئلاّ يُتَعَرَّضَ لـه » .

ب ــ والمطرّزيّ في المُغرب : « ويُجَمَعُ الجوازُ علـى أجْوِزَة » .

جـ ــ والزَّبيدي في التاج : « الجواز (كَسَحاب) : صَكُّ المسافر ، جَمْعُهُ : أجْـوِزَة » .

د ــ وادورد لَيْن في مـدِّ القاموس ، والشّرتونيّ في اقـرب المـوارد ، والسّيّد احمـد رضا في متن اللغة ، ومحمد على النّجار في لُغويّاته ، وجميعُهم ذكروا انّ جمع الجَواز هـو : أجْوِزَة .

هـ ــ ومجمع اللغـة العربية بالقاهرة في معجمه الوسيط : « الجـواز : وثيقة تمنحُها الدولـة لأحد رعاياها ، لاثبات شخصيّته عند رغبته السَّفر الى الخارج . والجمـع : أجْوِزَة (المجمـع) » .

ومـع ذلك يُصِرُّون على أن الجمع (الجوازات) هـو الصّواب ، ويُهْمِلون راي المعاجـم الكثيرة الموثّقة ، ورايَ مجمع القاهرة ، ويتمسّكون

بكلمةٍ وردتْ في رسالةٍ كتبَهَا اديب غـيرُ مُعجميّ ، ويَنْسَوْن انَّ لحُجّـة الاسلام الإمام أبـي حامد الغزّاليّ كتاباً طُبع في مصر عـام ١٣١٩هـ . عنوانه : « **الأَجْوِبة** الغزّاليّة في المسائل الأُخْرَويّـة » .

واقترح آخرون انْ نُطْلِق على جـواز السَّفر اسم (الفَسْح) ، إذ جـاء في القاموس والتّاج : « الفَسْحُ شِبْهُ الجواز ، فَسَحَ لـه الأَميرُ في السَّفر : كَتَبَ لـه الفَسْحَ » . وجـاء في المعجم الوسيط : « الفَسْحُ : جواز السَّفر » . وانصَحُ بهجرِ هذه الكلمـة كآلافٍ غيرها .

ويَرَى أَحَـدُ أولئك النُّقّادِ انَّ الذي يؤلِّفُ مُعجماً ، عليـه انْ يذكر المصدر الذي اخـذ منه كلَّ مـادة من موادّه ، ولو كُتِبَتْ بصورةٍ مختلفةٍ عن المصادر التي سبقَتْهُ اليهـا . وهذا الرَّأْيُ العجيب لم يستطع لُبّـي انْ يهضمَهُ ، ولـم أَرَ ايَّ معجمٍ قديمٍ او حديث عمل بـه ، لأنَّ المعجـم يُفترَضُ فيه إيرادُ جميع المـوادِّ الخاصة بموضوعه ، سواءٌ اكـان غيرُهُ قد سبَقَه اليها ام لـم يسبِقْه ، على ان تُذكر في آخر المعجـم اسماءُ جميع المَصادر ، التي استَقَى منها المؤلـف مادَّتَهَ . هذا اذا لم يكن المعجـم عامّاً ولُغويّاً كمعاجم الأغلاط اللغوية والمعاجـم الطبّية والزراعيّة ومـا شابهها . امـا اذا كان المعجم عاما ولغويا كالمعجـم الكبير والمعجـم الوسيط واشباههما فـلا حاجة بمؤلفيها الى ذكـر اسماء مصادرهم .

وعلـى الناقد انْ يذكرَ مثلا انّ هنالك عـدَّةَ طبعات لمعجـم الفيروزابادي القاموس ، منها طبعة كلكتّـا ، التي تختلف قليلاً عـن الطبعات الأُخرى في بعض المـوادّ ، ممّا يجعلنا مضطرّين الى الرُّجوع الى تلك الطبعة ، قبل ان ننكـر وجود كلمة ما في الطبعة التي لدينـا ، كما فعلَ مؤلِّف مـدّ القاموس فأحسن .

وتُوجَد احياناً طبعتان لمعجم واحد في بلد واحد ، تختلفُ احداهما عن الأخرى في بعض موادّها . وهنا علينا أن ننظرَ الى تاريخ الطبعة التي استمدّ منها الكاتب مادته ، وننتقدَهُ بعد ذلك اذا اخطأ في النقل .

وهنالك كلمات تستعمل مخالفةً لما يقولُ به النُّحاةُ ، فكلمة نموذَج خماسيّة ، لم تذكر لها المعاجمُ جمعَ تكسير ، يفرضُ علينا النُّحاةُ انْ نجمعَها جمع مؤنّثٍ سالماً ، ونقول : نَمُوذَجات ، ونخطّىء مَنْ يجمعها على : نماذِج ، ونجمع كلمة تمرين على تمرينات بدلاً من كلمة تمارين التي لم تَرِدْ في المعجمات .

ولما كان الوعاء الكبير يتّسعُ للوعاء الصغير ، فإنّ علينا أن نسأله سبحانه وتعالى ، ان يُحَلّينا بِخِضَمٍّ من الصَّبْر ، ورحابةٍ في الصَّدر ، ويغمرنا بروح التّسامح مع الآخرين ، الذين ارجو ان يتّخذوا شعاراً لهم مطلَعَ إحدى قصائدي :

ما في ابنِ صدري للأحقادِ مُتَّسَعُ النّاسُ كُلُّهُمُ في قلبي اجتمعوا

« ربِّ أوْزِعْني انْ اشكرَ نعمتَكَ التي انعمتَ عليَّ » ، ويَسِّرْ لي خدمةَ أمتي ولُغتي ، وقَوِّني على الدفاع عنهما ، والتّصدّي لكلِّ مَنْ يُريد بهما سوءاً ، « إنّك انتَ السَّميعُ العليم » .